النساء في رباعية الليل الروائية لزيد الشهيد

أ. م. د.زينب ساطع عباس
تدريسية في الكلية التربوية المفتوحة / المثنى

ملخص البحث

اخترتُ موضوع البحث (رباعية نساء الليل عند زيد الشهيد). الرباعية عبارة عن أربع روايات قصيرة: "الليل في نعيمه"، "الليل في صفائه"، و"الليل في سموه"... إذ تكاد المرأة أن تكون المحور الرئيسي لقصص الرواية، بل المحرك الرئيسي فيها. وقد وقع الاختيار على أحداث السماوة والبصرة، لنرسم من خلالها صورة موازية للمرأة في الأدب. حاول البحث هنا تقديم تشكيلة نقدية متنوعة لقصص النساء المتعلمات وغير المتعلمات في الواقع الجنوبي، بقلم زيد الشهيد.

1- الوصف الشعري أو البلاغي
2- الحوار النسوي
3- المراجع الثقافية النسوية
4-ثم النتائج وقائمة المصادر.

كلمات مفتاحية : رباعية الليل الروائية لزيد الشهيد

Women in the Novel "Night Quartet" by Zaid Al-Shahid

Assistant Professor Dr. Zainab Sateh Abbas
Lecturer at the Open College of Education / Al-Muthanna

Research summary

I chose the topic of the research to be (Women in the Night Quartet according to Zaid the Martyr). The quartet is four short novels: The Night in Its Bliss, The Night in Its Purity, and The Night in Its Highness... as women are almost the main focus of the novel's stories, taking the form of the main engine in them. The events in Samawah and Basra were chosen, so we can take from that a parallel image of women in literature .The research here attempted to provide a diverse critical assortment of educated and uneducated women in the southern reality, written by Zaid Al-Shahid .

1 _Poetic or rhetorical description

2 _Feminist dialogue

3 _Feminist cultural references

4-Then the results and a list of sources.

Keywords: The Novel "Night Quartet" by Zaid Al-Shahid

المقدمة :

ترهقني الكتابة النقدية، بخلاف الكتابة الإبداعية التي ابدأ بكتابة قصة أو مقالة أو رحلة أدبية أو سيرة غيرية فأجد نفسي وقد انهيتها بكل ابتهاج..

الكتابة النقدية أمرها مغاير وصعوبتها تكمن في أمرين.. الأول الالتزام التام بالدقة في كل الاقتباسات والمصادر التي نستخدمها بالبحوث حتى وإن استخدمت أكثر من مائة مصدر فلا سبيل لك إلا ان تكون دقيقا.

ولا يكاد عمل فني أو أدبي يخلو من المرأة، بل لا يكون جميلا ومترجِماً للحياة بكل ألوانها ما لم يكن للمرأة نصيب فيها، وقد شغلت المرأة الجانب الجميل في كل السرديات والقصائد، والأمر لم يقتصر في ذلك في الأدب الغربي بل الأدب العربي ومنه العراقي..

ومن المعروف في عالم الدراسات الأدبية ان الكتب الأدبية بكل انواعها من شعر وسرد ونثر وسيرة تتطلب القراءة التحليلية المتنوعة حتى يتمكن المتلقي من التقاط كل مقاصد الكاتب، وكلما كان الكاتب أكثر واقعية كلما اقتربت سردياته ونتاجاته من عالم الحقيقة والشيء الملموس.. لهذا حين اخترت زيد الشهيد كان ذلك لأكثر من سبب، الأول بسبب سردياته الكثيرة والثاني بسبب نضجه وعمره الأدبي الذي تجاوز الخمسين عاماً في مجال الأدب والثالث لكون ان الاعلام النسوي في المثنى شبه مغيب.. ولأن سرديات الشهيد تجاوزت الأربعين.. اخترت ان يكون موضوع البحث (المرأة في رباعية الليل عند زيد الشهيد) والرباعية عبارة عن أربع روايات قصيرة وهي الليل في نعمائه والليل في بهائه والليل في نقائه والليل في عليائه.. حيث ان المرأة تكاد تكون المحور الاساس لكل أحداث الرواية بحيث تتخذ شكل المرأة فيها المحرك الأساس فيها وقد اختار الاحداث في السماوة والبصرة مما نقدر ان نتخذ من ذلك صورة متوازية للمرأة في الأدب الجنوبي..

والبحث عبارة عن اتخاذ الدور الاجتماعي والعاطفي للمرأة في جوانب متعددة، بحيث البحث يتناول التحليل الدقيق لتفاصيل الحياة الجنوبية، ولكن بطريقة أدبية على جانب كبير من الشعرية، ومع ان الروايات قليلة الشخصيات لكن المرأة كذلك كانت موجودة مع البطلة أي بأدوار ثانوية، وهنا لم يتحدث في رواياته عن وصف المرأة الشابة بل وحتى الخمسينية مع وصف المونولوج المنبثق في تجارب الحياة.. لذا البحث تناول المرأة واعطى توصيفا دقيقا لكل حالات المرأة وتمازجها وربما انعزالها في المجتمع..

أما تقسيم البحث، فهو ثلاثة أجزاء تناول في الجزء الأول الوصف الشعري الخاص بالمرأة والثاني طبيعية الحوار المتبادل في الروايات الاربعة، والثالث المرجعيات النسوية التي يستخدمها الروائي العليم في أحداث الرواية وتذويبها بشكل متناغم مع الرواية..

والبحث هنا حاول أن يعطي تشكيلة نقدية منوعة للمرأة المتعلمة وغير المتعلمة في الواقع الجنوبي بقلم زيد الشهيد.

1_ الوصف الشعري أو البلاغي

2_ الحوار النسوي

3_ المرجعيات الثقافية النسوية

ثم النتائج وقائمة المصادر.

التمهيد

آثرت قبل الدخول في الفصول الوقوف قليلا عند مصطلح الرواية، لأنها مادة البحث القائم على أربع روايات شبه متداخلة الحجم منفصلة القصص، والرواية هي: " الجنس الأدبي الوحيد الذي ما زال مستمراً في التطور ولم تكتمل كلّ ملامحه حتى الآن... فهي جنس أدبي لا قواعد لهولا وازع مفتوح على كل الممكنات ويقال انها نشأت من رحم الفلسفة ...كما يمكن اعتبار الرواية ابنة التحولات التي عاشها المجتمع البرجوازي، لكنها في الوقت نفسه تسعى إلى ربط صلات بين هذا المجتمع وماضيه الملحمي، فهي تتميز بثراء وتعمق وتنوع في ما تنقله من واقع وأحداث وطبائع وصلات بين البشر" (ينظر معجم السرديات محمد القاضي مكتبة اللغة

العربيـة، بغـداد، شـارع المتنبـي، الطبعـة الأولـى 2010، ص 201-202-203) ، كمـا قيـل فـي الروايـة : " فـن تجريبـي لا يخضـع للأقيسـة المنطقيـة والمعـايير المقننـة إلا فـي ضـوء ثنائيـة نـواة السـرد وغـلاف القصـص، النـواة قابلـة للانشـطار والتبـرعم وانجـاب المختلـف والجديـد" (كيـف نكتـب روايـة ناجحـة / كـاظم الشـويلي/ الطبعـة الثالثـة/دار الورشـة الثقافيـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع / ص 29 ، وحتـى تكـون الروايـة ناجحـة فعليهـا أن تتصـف بـبعض الأمـور مثـل: " أن تقـص قصـة تلامـس الواقـع أو أوتـار القلـب، وتنقـل تجـارب الكاتـب أو تجـارب الآخـرين كمـا عليهـا أن تتحـدث عـن الحـالات الانسـانية والصـراع الـداخلي وتوصـيف المشـاعر بشـكل يصـبح فيـه القـارئ قـادرا علـى الشـعور بهـا كمـا عليهـا أن تسـلط الضـوء علـى عيـوب المجتمـع أو العقـد النفسـية والتناقضـات التـي يعـاني منهـا النـاس، كمـا ان الروايـة الناجحـة تحتـوي علـى العنصـر المحلـي أي انهـا تحكـي قصـة فـي مكـان أو مجتمـع يعرفـه الكاتـب جيـداً ويعـرف مشـكلاته وبـذلك يكـون قـادرا علـى إيصـال رسـالة إنسـانية تصـنع منهـا عمـلاً أدبيـا قابـل للقـراءة والتعـاطف فـي العـالم كلـه" (ينظـر المصـدر نفسـه / ص 42)، ويمكـن القـول وبشـكل معقـول ومقبـول ان روايـات زيـد الشـهيد تـوافرت فيهـا هـذه الشـروط وذلـك لعـد اسـباب تعـود لأن الكاتـب فـي الأسـاس تدريسـي فـي الادب الانكليـزي ومترجمـا وحسـب تصـريحه فقـد افـاد كثيـرا مـن دراسـة الأدب الغربـي والروايـة فـي الأصـل غربيـة المنشـأ، كمـا ان الروايـات الأربعـة جـاءت بعـد رحلـة عقـود مـن الكتـاب تراوحـت مـا بـين 35 عامـا إلـى أربعـين عامـا بمعنـى انهـا تشـبعت بالنضـج الكتـابي المطلـوب فـي الأدب الروائـي، ومـن الجـدير بالـذكر ان الروايـات الأربعـة تنتمـي لجـنس النـوفيلا وهـي مـا يسـمى الروايـة القصـيرة، وهـذا مـا اعطاهـا جميعـا شـبه التشـابه فـي الحجـم والتقـارب فـي العنـوان، واللغـة الشـعرية التـي تكـاد تكـون موحـدة وهـذا يـذكرنا بـالقول بـأن : " اللغـة الروائيـة بإمكانهـا خلـق عـالم متحـرك بـين فضـاءات زمنيـة وأمكنـة وأحـداث وهـي كونهـا لغـة لقـادرة علـى التواصـل وبـث الفهـم بـوعي خـالص حـين تضـارع جُملهـا بنـوع مـن القصـدية لتحقـق الفهـم الفلسـفي للجملـة" (الروايـة العراقيـة ال مـا بعـد انشـائية تقانـات وتـداول/ اسـماعيل ابـراهيم عبـد/ مـديات ثقافيـة/ دار الزيـدي للنشـر والتوزيـع والاعـلان_ العـراق/ 2014/ ص 9) وسـنلتمس فـي البحـث وفـي فصـوله الثلاثـة صـدق الـرأي حـول تلـك اللغـة الروائية.

ومـن الجـدير بالـذكر ان روايـات زيـد الشـهيد تنتمـي للواقـع ولا تخـرج عنـه إلا مـا نـدر وهـو قاصـد بـذلك لأن: " الفائـدة التـي يجنيهـا الكاتـب مـن عملـه الـواقعي، هـي مفاجآتـه نفسـه دائمـا علـى أعتـاب الـدرس الـواقعي الأول وتـتلخص هـذه الفائـدة فـي ان قيمـة الـدرس الـواقعي تكمـن فـي معرفـة الواقـع، واقـع الحيـاة وواقـع الكتابـة، غـزارة المرجـع وحـدود الـنص" السـرد والكتـاب / محمد خضـير / دار الصدى /مايو 2010/ ص26

الفصل الأول

الوصف الشعري أو البلاغي

لا يمكـن أن تخلـو النصـوص الأدبيـة مـن الوصـف الشـعري والبلاغـي ذلـك لان الشـعرية تضـفي خصوصـية علـى الـنص الأدبـي وتميـزه مـن النصـوص التقريريـة الجامـدة بالإضـافة انهـا تمـنح لونـا خاصـا بقلـم الكاتـب، وفـي الروايـات الأربـع جـاء الوصـف الشـعري جميـلا فقـد كتـب الشـهيد فـي روايـة الليـل فـي نقائـه: " وكانـت جميلـة إذ تعـود للبيـت تعـود محفوفـة بآيـات الهنـاء، ومرتويـة بعـذيب القـول، تطـالع المـرآة البيضـوية المـؤطرة بخشـب الأبنـوس اللامـع...تحرر شـعرها الطويـل، الطويـل مـن قراصـة بهيـأة فراشـة، لطالمـا أحبـت الفراشـات متخيـل أنهـا أنفـاس الله يطلقهـا رهيفـة حييـة عـذب سـاعات رضـاه .. تتمـايس بطولهـا الفـارع الرشـيق بخفـة وعذوبـة راقصـات الباليـة" الليـل فـي نقائـه / ص33

" الشجرة الآن تتلقى الآهات فتعلن حزنها، فقد أخبرتها إحدى تينك الآهات أنها قادمة من صدر موجوع ازدحمت في طرقاته الآلام وتناسلت الآهات فاستطاعت هي وقريناتها الانفلات .. رأت الشجرة أن تلك الآهة فتاة تتسربل بثوب القهر، تلف رأسها بشال الأسى مترنمة بشجن اغنية تتحدث عن الضياع والفقد ... مرت واحدة تتوجع فتنسم عازف العود رائحة يعرفها " الليل في علیائه / ص26

وكذلك قال في الرواية ذاتها: " لكن الأيام القابلة أفصحت للمرأة تدهور حال الفتاة، فاستدارة الوجه تراجعت لصالح الاستطالة، والعينان الوسيعتان انحسرتا تاركتان لون الرماد يتسلل إليهما. أما الشفتان اللتان كانتا مكتنزتين فقد ضمرتا وتشققتا بينما الوجنتان برز عظميهما، والعنق صار علامة لا تقبل الشك على تدهور حال واعتلال صحة" في علیائه/ ص 112

حيث يظهر رغم الحديث عن مجرد تبدل حال هذا الكم من التشبيه الدقيق لمعالم الوجه وكان الكاتب يريد ان يرسم الصورة مطبوعة في ذهنية المتلقي.

الفصل الثاني

الحوار

الحوار في الرباعية كان شبه محدود فزيد قد ركز على المونولوج للشخصيات ومع ذلك كان هناك حوارات قليلة ، مثل قول البطلة نبيلة: " لقد اطلعت على معرضك الأخير. وقبل أن يسألها كيف عرفت عاجلته: أفردت لك مجلة فنون أربع صفحات جعلتني أعوم على غيمة من الزهو . وبعد مونولوج مطول ردّ عليها _ شكرا لأنك قيمت موهبتي" (الليل في نعمائه/ ص 75_76

والحوار كذلك في الليل في نقائه كان محدوداً يتخلله الكثير من المونولج والتوصيف للمحاور أو للمتحاور معه مثل: " قال لي وعيناه تعجان بما حسبته اعتزازاً، مشيرا إلى المداخلة : عرفتك ياجميلة وأنا أتابع اهتمامات الحضور أنك تمتلكين موهبة أدبية سنفتخر بها ثقافيا.. لمن تقرأين!؟ كان سؤاله هو الفرصة التي يهبها الله للإنسان فإذا أحسن استغلالها نجح...لهذا انبرى عقلي قبل قلبي يقول: أقرؤك أنت يا أستاذ. فرد: ماذا؟ وأطلق شهقة ابتهاج لم أر مثيلاً لها في وجه أي إنسان من قبل ... أكملت : نعم أقرؤك أنت يا استاذ ..كل مؤلفاتك عندي جميع منشوراتك في الصحافة أجمعها .. من رياض ابداعك غذيت ذائقتي" الليل في نقائه / ص76و77

" قالت له: _ لقد أطلت عليّ ، لقد انتظرتك طويلاً، كيف هو صديقك؟

_ سامحيني / قالها بتضرع مكبراً فيها انسانيتها بالسؤال عنه، هي الجريحة التي لا تقل وجعا عن صديقه.

لا أستطيع تركه يعيش الألم لو كان حزين هنا لرافقه ساعة بساعة ولقلل فقدان الاستقرار الذي يعانيه وتلاشي الطمأنينة التي يرجوها

_ حزين ؟ من يكون حزين ؟ تساءلت وقد جرحها الاسم وأيقظ فيها الأشجان

_ حزين صديقي شاعر" الليل في علیائه / ص 33

الفصل الثالث

المرجعيات الثقافية

جـاء فـي مقدمـة الفصـل الثالـث مـن الروايـة هـذا الاقتبـاس: " مـا انتظـره منـك يـارينر .. لا شـيء .. كـل شـيء أن تسـمح لـي فـي كـل لحظـة فـي حيـاتي أن أرفـع عينـي صـوبك، كمـا الـى جبـل يحمينـي. كـان هـذا ممكنـاً قبـل معرفتـي بـك. أمـا الآن فيحتـاج الامـر إلـى أذن/ مـن رسـالة مارينـا تزفيتاييفـا إلـى راينر ماريا ريلكه" (الليل في نعمائه/ ص 39) ..

صـارت جميلـة تحـب فيكتـور هوغـو وعذاباتـه ولـم يقتصـر حبهـا لأعمالـه السـردية البؤسـاء واحـدب نـوتردام وعمـال البحـر ولا شـعره الرصـين الـذي تحفظـه الأجيـال الفرنسـية فـي مناهجهـا التربويـة والدراسـية أحبتـه أكثـر بعـدما عرفـت عـن مقارعتـه لنـابليون الثالـث ملـك فرنسـا المنقلـب علـى النظـام الجمهـوري.. تمنّـت يومـا زيـارة بـاريس لتتوجـه مباشـرة إلـى مقبـرة العظمـاء حيـث تجـده مسـتيقظا جـوار شـاهدة القبـر إلـى جانـب فـولتير وجـان جـاك روسـو يتحـدثون عـن الجمهوريـة التـي دعـوا إليها" الليل في نقائه / ص 56و57

وهـذا الـنص المختصـر هـو مـا تميـزت بـه هـذه الروايـة وروايـة الليـل فـي نعمائـه عـن الـروايتين البـاقيتين إذ كلمـا كانـت المـرأة التـي تـدير الأحـداث علـى جانـب مـن الثقافـة فـان تـذويب المرجعيـات والامـور التاريخيـة يكـون شـبه واجـب علـى الكاتـب حتـى يقنـع المتلقـي بثقافـة الشخصـية وسـعة إدراكها.

النتائج:

1_ من النتائج ان الأبطال دوما رجال لكن التأثير عليهم طوال مسيرة الأحداث دوما من قبل النساء سواء أكان بشكل مباشر أو غير مباشر.

2_ لا توجد ضمن الروايات الاربعة وصف لامرأة مجنونة أو قاتلة أو متهورة، هو يرى المرأة كائن لطيف وجميل وشاعري ولهذا حتى وإن كانت بطلات الروايات غير متعلمات أو غير جميلات أو غير ناضجات فهو لا يخرجهن أبدا من الحيز الدافئ طوال سرد الأحداث.

3_ تحتل المرأة مكانا طيبا للغاية فهي لا تتعرض لا للضرب ولا للشتم ولا للسجن ولا للإهانة، نعم قد يضعها ضمن ظروف صعبة كالفقر والغربة والفراق واليتم والترمل لكن مع ذلك يبقي لها مكانتها الغربة والفراق واليتم والترمل لكن مع ذلك يبقي لها مكانتها الإنسانية التي تحفظ لها وقارها المعنوي والجسدي.

4_ ان زيدا مدرك تمام الإدراك طبيعة المجتمع الجنوبي المتشح بالحزن في كل مواسمه، لهذا هو يجعل النساء في خانة الحزن المهيب دوما، حتى في النهايات نراه يضن بالوصف المسهب للفرح للنساء محتفظا لهن بهذه الهالة المتشحة بالرماد.

5_ لم يقتصر الشهيد في ذكر النساء على الشخصيات التي تتحرك في الروايات الاربعة، بل أدخل كذلك الآلهة والمرجعيات الأخرى مثل الشواعر والرسامات وذلك ليعطي انطباعا ان النساء هن مصدر الفن والرقة والحياة في الحياة والواقع والخيال معاً.

6_ الغايـة مـن تطعـيم الروايـات بالمرجعيـات هـي لكسـر النمطيـة وتغييـر نفـس المتحـدث بالشخصـية الـى شخصـيات مـن مكـان آخـر وزمـان آخـر وحتـى يعطـي انطباعـا بتنـوع ذهنيـة الكاتـب وسـعة ثقافته.

المصادر والمراجع

1_ معجـم السـرديات محمد القاضـي مكتبـة اللغـة العربيـة، بغـداد، شـارع المتنبـي، الطبعـة الأولـى 2010

2_ كيـف نكتـب روايـة ناجحـة / كـاظم الشـويلي/ الطبعـة الثالثـة/دار الورشـة الثقافيـة للطباعـة والنشر والتوزيع

3_ الروايـة العراقيـة ال مـا بعـد انشـائية تقانـات وتـداول/ اسـماعيل ابـراهيم عبـد/ مـديات ثقافيـة/ دار الزيدي للنشر والتوزيع والاعلان_ العراق/ 2014

4_ السرد والكتاب / محمد خضير / دار الصدى /مايو 2010

5_ الليل في نعمائه

6_ الليل في عليائه

7_ الليل في نقائه

7_ الليل في بهائه